الفصل السابع

المنهج البنيوي والعلوم الانسانية

بقلم الدكتور الزواوي بغورة

مقدمة:

ظهرت البنيوية في أواخر الخمسينات و بداية الستينات من هذا القرن، كمنهج وإتجاه فلسفي جديد(1) و مع ظهورها احتلت مقولة البنية مكان الصدارة في مجالات وفروع علمية عديدة ، مثل اللسانيات والإنتريولوجيا والنقد الأدبي والفلسفة والإبستمولوجيا .

وصاحب هذا الظهور ، بروز أعمال وشخصيات فكرية تنظر لهذا الإتجاه من مثل " جاكبسون " و "شومسكي " في اللسانيات و" ليفي ستروس " في الإنتريولوجا و"لاكان "و "بياجيه" في علم النفس و "فوكو" و "التوسير" في الفلسفة و الإبستمولوجيا. ولقد ترتب على هذا الظهور المكثف و المحصور في فترة زمنية محددة – الستينات بالخصوص – ان برزت جملة من الإشكاليات و القضايا النظرية و المنهجية الجديدة.

فليفي ستروس يرى أن البنيوية لم تهتم بأن ((تعلن فلسفة جديدة قدر اهتمامها بان تظهر عجز المفاهيم الفلسفية القائمة ، وذلك في ضوء المعرفة المتجمعة عن طريق علوم الإنسان)) .(2) فالبنوية بهذا المعنى منهج لا نظرية تؤكد على دور العقلانية العلمية في تأسيس الظاهرة الإجتماعية بوصفها واقعة علمية تقبل التحليلات الرياضية الدقيقة ، كما يؤكد هذه النظرة "بياجيه" الذي اعتبر البنيوية منهج قبل أن تكون مذهبا ، فالبنيوية أسلوب فني متخصص تقتضي إلتزامات علمية معينة ((لقد كان للمنهج الذي تمثله البنيوية تاريخ طويل ، يشكل جزءا من تاريخ العلم)) (3) معنى هذا أن البنيوية توجه منهجي داخل العلوم الطبيعية و الإنسانية هذا التوجه يهدف إلى إستكشاف البنيات الأساسية للموضوعات و الأشياء وذلك لأنه يستعمل في بحثه ((طرائق التقصي المستعملة في الرياضيات و الفيزياء و العلوم الطبيعية الأخرى ، من هنا كانت ميزة هذا المنهج ، في تركيزه على وصف الحالة الآنية للأشياء)) (4) .و إذا لم يكن هنالك شك ، في كون البنيوية تتميز بمنهجها ، فإن هذا المنهج يستند بالتأكيد على خلفية نظرية و فلسفية ، و لعل الباحثة "ساخاروقا" قد

عبرت بدقة في ، نظرنا ، عن طبيعة البنيوية ، حيث قالت ((من الواضح أن البنيوية لا تحشر في مشكل علمي محدد ، و ليست مدرسة فلسفية جديدة ....بل منهجا في المعرفة العلمية سببه التطور الثقافي في النصف الثاني من القرن العشرين. وعلى الرغم من أن البنيوية ليست فلسفة غير أنها تناولت بعض المشكلات ذات الطبيعة الفلسفية بسبب التطور المعاصر للعلوم و الممارسة الإجتماعية.))(5).

إن أهمية البنيوية ، من هذه الوجهة ، تكمن فيما طرحته منهجيتها من قضايا و مشكلات ، و في محاولتها لتجديد العلوم الإنسانية بالإستناد إلى منهج خصب ، هو المنهج البنيوي . يلخص هذا الفهم ما نقرؤه في إفتتاحية مجلة "الفكر العربي المعاصر" و الخاص بالبنيوية و علم الأناسة ، حيث تقول الإفتتاحية ((و الحقيقة فإن البنيوية ليست مذهبا إيديولوجيا مباشرا ...ولكنها جملة أساليب في البحث الإجتماعي و الرؤية الفكرية ، تريد أن تعكس منعطفا ثقافيا تاريخيا ،وكذلك التغيرات النوعية الخطيرة التي أتت بها التطبيقات الإلكترونية في حقل المعلوماتية وما رافق ذلك من دعوات ملحة للخلاص من عصر سيادة الأيديولوجية الكليانية و التحول إلى دراسة البني الواقعية للظاهرة الثقافية و الإجتماعية دونما حاجة إلى تفسيرها بالنظريات الشمولية)) (6) .

و على أساس هذه الثورة العلمية التقنية قامت البنيوية و المنهج البنيوى بخطوة أساسية تمثلت أساسا في:

1- في نقدها للمفاهيم القائمة في العلوم الإنسانية .

2- إعلانها لمنهج يتكون من جملة من الأساليب في البحث الإجتماعي و الفكري .

3- دراسة البني الواقعية للظاهرة الثقافية، دونما حاجة إلى تفسيرها بالنظريات الشمولية .

وعليه اصبحت البنيوية ، و كما يقول "زوجيه غارودي" / ((أولا فلسفة تقابل صورة العالم كما تستخلص في منتصف القرن العشرين في تطور مجموع علوم الطبيعة و علوم الإنسان . والثاني أنها منهج للبحث ، أثبتت تطبيقاته في مختلف المجالات أنها كثيرة الخصوبة كما حصل في تطبيقات السبرنتيكة.))(7) و سنقوم بدراسة هذا المنهج مبرزين في البداية جذوره التاريخية ثم خصائصه و مميزاته .

اولا- في مفهوم البنية :لمفهوم البنية أهمية أساسية سواء على الصعيد المنهجي أو المعرفي و لذلك خصصناها بالدرس و التحليل و المناقشة ، هذه الأهمية تكشف

عليها أولا ، تلك الملتقيات و الحلقات الدراسية التي دارت حول معنى ودلالة مفهوم البنية وكمثال على ذلك نذكر الملتقى الدراسي الذي نظمه المركز العالمي للأطروحات بباريس سنة 1957 تحت عنوان " مفهوم البنية وبنية المعرفة " أو الملتقى الذي نظمته المدرسة التطبيقية للدراسات العليا سنة 1960 تحت عنوان " معنى البنية و إستعمالاتها في العلوم الإنسانية " ،و ثانيا في الأهمية المنهجية لمفهوم البنية و علاقته العضوية بالمنهج البنيوي .و ثالثا كون مفهوم البنية يمتاز بالغموض و الإلتباس و الغنى و الثراء في نفس الوقت ، يقول " فؤاد زكريا" (إن البنائية لم تصبح مذهبا فلسفيا إلا لأن المتخصصين قد تنبهوا في ذلك الوقت بالذات إلى الإمكانات الخصبة التي تمكن في فكره البناء .) (8) ورابعا في كون البنية تتمتع بتاريخ و هذا ما أكسبها صفة التطور و الإختلاف و التجدد و هو ما يؤكده "جان كويزنية " : (لقد جرى الحديث كثيرا عن البنية قبل التفكير في إدعاء البنيوية فهل يجب إستنتاج أننا كنا بنيويين بغير علم منا ؟ أو يجب بالأحرى أن نعتقد بأن النظرية المعدة فيما بعد قد بدلت معنى الكلمة.)(9)

1- في الأصل اللغوي : تشتق كلمة بنية " structure" من الأصل اللاتيني "struere" و الذي يعني البناء أو الطريقة التي يقوم عليها بناء ما ، ثم أصبحت تشمل وضع الإجراء في حيز ما من وجهة النظرة الفنية المعمارية ، و تشير المعاجم الغربية إلى أن فن العمارة كان يستخدم هذه الكلمة منذ منتصف القرن السابع عشر.أما في اللغة العربية فأصلها يعود إلى الفعل الثلاثي " بنى ، يبني ، بناء " و منه جاءت كلمة بنية و سميت النزعة المعتمدة عليها باسم البنائية أو البنيوية ، و الأصل العربي القديم للكلمة يتضمن معاني التشييد والبناء و التركيب و تجدر الإشارة إلى أن "القرآن الكريم " قد أستخدم هذا الأصل نيفا و عشرين مرة على صورة الفعل بنى و الأسماء بناء و بنيانٍ و مبنى لكن لم ترد فيه ولا في النصوص القديمة كلمة بنية(10) كما تجدت النحاة العرب على المبنى و المعنى و كذلك على المبنى للعلوم و المبنى للمجهول .

2- في التعريف الإصطلاحي : تعني البنية الكيفية التي تنتظم بها عناصر مجموعة ما أو مجموعة العناصر المتماسكة فيما بينها بحيث يتوقف كل عنصر على باقي العناصر الأخرى و بحيث يتحدد هذا العنصر بعلاقته بتلك العناصر لذلك يرى " كروبير Creuber" (أن أي شيء بشرط أن لا يكون عديم الشكل amorphe يمتلك بنية فكل شيء مبني بصورة ما) (11) .والبنية في القاموس الفرنسي

Larousse تعني الطريقة التي ينبني بها صرح أو منشأ ثم بالتعميم الطريقة التي بها يتكون أي كل او مادة معدنية أو جسم حي منسقة بين بعضها البعض.

3- في تاريخ المصطلح :قلنا سابقا في إطار التحديد الإشتقاقي أن البنية إستعملت لأول مرة في منتصف القرن السابع عشر وذلك في مجال العمارة ثم نجدها في القرن الثامن عشر مستعملة في الفلسفة من طرف كانط بمعنى "بنية الفكر" (12) .و عليه فالبنية حتى القرن الثامن عشر قد حافظت على معناها الإشتقاقي و الذي يقصد به الكيفية التي يقوم عليها بناء ما .

أما التغيير فبدأ مع محاولة " سبنسر" Spencer" وذلك في القرن التاسع عشر لإقامة علم الإجتماع على أساس بيولوجي و دراسة التنظيم الإجتماعي بمفاهيم البنية و الوظيفة و لقد إمتد هذا التيار الإجتماعي حتى القرن العشرين مع أعمال "راد كليف براون Bawen" الذي يوازن بين مفهومي البنية – العضو والبنية الإجتماعية وتمثل هذه الجهود الإتجاه الأول في إثراء مفهوم البنية أما الإتجاه الثاني فظهر في الأنتريولوجيا.مع "مورغن Morgen" حيث أستعمل مفهوم " النسق systeme" بمعنى مماثل لكلمة بنية و في نفس هذا السياق ظهرت أعمال " كارل ماركس Marx " و "فريد بريك أنجلرEnglez "والقائمة على مفهومي البنية التحتية والبنية الفوقية .

و الإتجاه الثالث ظهرمع بداية القرن العشرين في الجغرافية الفيزيائية و المورفولوجيا الإجتماعية ،حيث أستعملت كلمة البنية بمعنى شكل و أوصورة المجتمع ، و ذلك من أجل تعيين كيفية توزيع السكان على الأرض فالبنية في هذا الإتجاه مادية وفيزيائية ونستطيع الأن وبعد هذا العرض الموجز لتاريخ البنية أن نستخلص بعض النتائج منها :

1- تطور مفهوم البنية وإغتناء محتوياته .

2- شمولية البنية و توظيفها في العلوم الطبيعية و الإجتماعية .

3- إعتمادها كمفهوم أساسي من طرف بعض العلوم و الإتجاهات من مثل الألسنية والبنيوية. وإذا كناقد تعرفنا على البنية في جوانبها الإشتقاقية و الإصطلاحية و التاريخية ، فإننا نعتقد أن تحديد هذه الكلمة لن يكتمل إلا بتقديم تعريفات أولية في ميادين مختلفة كالعلوم الطبيعية و الإنسانية و الفلسفة.

أ- في العلوم الطبيعية: يرى "جون المو" في كتابه " الفكر العلمي الحديث " أن البنية (مجموعة من العلاقات بين العناصر بحيث لا تختلف هذه العناصر في

هويتها و طبيعتها وإذا تم إستبدالها فإن ذلك لا يحدث خللا في البنيـة .)(13) فالبنيـة بهذا المعنى هي المجموعة التي تتكون من علاقات و عناصر .

ب – في العلوم الإنسانية: خص" ريمون بـودون Boudon " مفهـوم البنيـة بكتـاب كامل بعنوان "لاي شي يستعمل مفهوم البنية ؟" نـاقش فيـه المستويات المختلفـة لهـذا المفهوم الغامض و الملتبس و الذي يتداخل مع مفاهيم أخرى . وبعـد عـرض واسـع للمفهوم ، توصل الى ان مفهـوم البنيـة يتحـدد بحسـب السياقات المعرفيـة التـي يـرد فيها.لذا يميز بين التعريف القصـدي الـذي (يجسـد فكـرة أساسـية هـي ، أن الشـيء يظهر باعتباره نسقا) و التعريف الفعلي الذي (يؤكد على أن البنية – النسق تحلـل وفقا لنظرية من نظريات العلوم الطبيعية)(14).

جـ – في الفلسفة: يرى "جيـل د لـوزDeleuze" فـي دراسـة نشـرها ضمـن كتـاب "تاريخ الفلسفة " الذي أشـرف عليـه " فرانسـو شـاتلي Chatelet" أن نتعـرف علـى البنية ضمن الخصـائص التالية :

1–البنية بين الرمزى والواقعي ، حيث أن البنية تنتمي إلى العالم الرمزي ، لا العالم الواقعي أو الخيالي و الرمزي أعمق من الواقعي والخيالي لذلك فإن البنية مشـروطة بالمعقولية .

2– البنية والوضع : أن المعنى لا وجـود لـه إلا فـي إطـار وضـع معيـن و الوضـع مقرون دائما بالمكان، فما يهم البنية ليس العناصر في ذاتها بل علاقات تلك العناصر فيما بينها وعن طريق التحويلات فإن المعنى مقرون بـالوضع الـذي يحتلـه العنصـر في إطار علاقته بالعناصر الأخرى .

3– البنيـة واللاّشـعور : بمـا أن البنيـة عقليـة ، فهـي تنتمـي فـي نظـر البنيويـة إلـى اللاشعور بالمعنى الكانطي الذي يعطيه لمقولات العقل لذلك فإن البنيات لا تنتمي إلى العالم المعاش بل إلى العالم العقلي (15) .

إن هذه الخصـائص التي تتمتع بها البنية حسب دراسة "دلوز" مكنت "زكريا إبراهيم " في كتابه "مشكلة البنية" أن يقدم لنا تعريفـا شـاملا للبنيـة يقـول فيـه (البنيـة نظـام أو نسق من المعقولية ، فليست البنية صورة الشيء أو وحدته المادية أو التصميم الكلـي الذي يربط الأجزاء فحسب ، و إنمـا هـي أيضـا القـانون الـذي يفسـر تكويـن الشـيء ومعقوليته .)(16)إن هذا التعريف المفهومي وكذلك التعريفات الأخرى ذات العلاقـة بالعلوم الطبيعية و الإنسانية تمكننا من إستخلاص المميزات الأساسية للبنية ، وهي :

1– البنية مجموعة تتكون من العناصر و العلاقات.

2- البنية مغلقة و ثابتة ومحكومة بقانون التحويلات والضبط الذاتي حسب عبارة "بياجيه " .

3- تشترط البنية الكلية ، لأن البنية أكبر دائما من عناصرها .

4- البنية ذات طبيعة عقلية لا شعورية القانون الباطني للظواهر .

وبهذه الخصائص نستطيع القول أن البنية تحولت من مجرد كلمة إلى مفهوم علمي يوظف في العلوم الطبيعية و الإنسانية و إلى مقولة فلسفية تعبر عن توجه فلسفي كامل ، ومن أجل توضيح هذا التحول نجري مقارنات بين مفهوم البنية وبعض المفاهيم في العلوم الطبيعية والإنسانية والفلسفية .

د - **في المفهوم البنيوي للبنية** :يحدد "ليفي ستروس" البنية بقوله (المبدأ الأساسي هو أن مفهوم البنية لا يستند إلى الواقع التجريبي بل إلى النماذج الموضوعية بمقتضى هذا الواقع ، وهكذا يظهر الإختلاف بين مفهومين متجاورين جدا بحيث وقع الإلتباس بينهما غالبا ، اقصد مفهوم البنية الإجتماعية و العلاقات الإجتماعية ، أن العلاقات الإجتماعية هي المادة الأولى المستعملة في صياغة نماذج توضح البنية الإجتماعية، إذ لا يمكن بأية حال إرجاع هذه البنية إلى مجمل العلاقات الإجتماعية التي يتسنى لنا ملاحظتها في مجتمع معين)(17)

إن تحليل هذا التعريف يوقفنا على مجموع الخصائص التالية :

1 - البنية غير الواقع التجريبي بل هي النموذج المستمد من هذا الواقع فالبنية نتعرف عليها من نماذج معينة .

2 - هنالك إختلاف بين البنية الإجتماعية وبين العلاقات الإجتماعية وهذا عكس ما تراه البنائية الوظيفية كما هو الحال عند " رادكليف براون " ذلك أن البنية الإجتماعية والعلاقات الإجتماعية في المنظور البنائي الوظيفي شيء واحد ، في حين أن البنية الإجتماعية ليست هي العلاقات الإجتماعية في المنظور البنيوي وعند" ليفي ستروس " بالتحديد .

3 - العلاقات الإجتماعية هي المادة الأولية التي تصنع منها النماذج وبواسطة هذه النماذج نصل إلى البنية.

4 - يعني هذا أن البنية متخفية غير مرئية، باطنية، لا شعورية إذا ذات طبيعة عقلية .

5 - البنية بهذه المعاني أداة منهجية وهذا يؤكده الدكتور "صلاح فضل "بقوله (البنية أداة منهجية في نفس الوقت الذي تعد فيه خاصية للواقع أداة يتم تكوينها منطقيا

وتكشف لنا عن محور الوقائع وطبيعتها العميقة)(18) .

6 - للكشف عن البنية يشترط بناء النماذج لذا فإن البنية ترتبط مباشرة بالنموذج المبني فالبنية في نظر " ليفي ستروس " حاضرة في الموضوع لكنها متخفية واكتشافها يقتضي تدخل العالم و تركيب نماذج تفصح عن بنية الموضوع .

7 -كل هذا يؤكد أن البنية عند " ليفي ستروس " لا تتصل بالواقع المحسوس بل تتصل بالنماذج التي ننشؤها إنطلاقا من الواقع . وعليه فإن الفكرة المنهجية عنده هي (أن وراء العلاقات الواقعية تكمن بنية لا واعية لا يمكن بلوغها إلا بالتكوين الفرضي الإستنباطي للنماذج المجردة ، وهي لا تعد وأن تكون أداة وسيطة أو منهجا يفرضه الباحث على الواقع الذي يتجاوزه لكي يعود إليه أكثر معرفة و فهما)(19).

8 - نستنتج من هذا أن البنية لا تتحدد إستقرائيا كما يقول"ريمون بودون"و إنما تتحدد عن طريق الإستدلال لأنها ذات طبيعة ذهنية عقلية رياضية ، لذا يجب النظر إلى البنية بالمعنى الرياضي أي باعتبارها (مجموعة من العناصر المجردة تقوم بينها علاقات متبادلة) (20) . و بتعبير آخر البنية لا تخص المحتوى الملموس للموضوع العلمي بل تخص لغة العلم لذلك فإن الميزة الأساسية لهذه البنية هي الشكلية .

9 - ثمة صفة آخرى يضعها كذلك " ليفي ستروس " للبنية تعطيها أو تكسبها نظرة فلسفية تلك الصفة هي (أننا مضطرون إلى تصور البنية الإجتماعية بوصفها موضوع مستقل عن وعي الناس ، مع العلم أنها هي الناظمة لوجودهم وباعتبارها لا تختلف عن الصورة التي يكونونها عنها ، إختلاف الواقع الفيزيائي عن التمثل الحسي الذي نكونه عنه أو عن الفرضيات التي نصوغها بصدده) (21).البنية بهذا المعنى مستقلة عن الوعي بمعنى ذات طابع أنطولوجي كما يقول ذلك (روجية غارودي) و هذا ما يضفي عليها الصبغة الفلسفية .

10 - البنية الإجتماعية تتألف من العلاقات الإجتماعية ، هذه العلاقات ثابتة وساكنة، لذا يتطلب معرفتها القيام بتحليل تزامني ، و هنا نصل إلى تلك العلاقة الجوهرية و الأساسية التي تربط البنية بالتحليل البنيوي أو المنهج البنيوي .

إن هذه الخصائص التي تتمتع بها البنية في نظر "ليفي ستروس" أثارت الكثير من التساؤلات و النقاشات فمثلا يرى الدكتور "سالم يفوت " أن "ليفي ستروس " كان على علم تام أو وعي تام بسقوطه في المواضعاتية ، يتجلى هذا في تأرجحه بين الصورة الخالصة التي لا تقول بأية حقيقة خارج القول العلمي نفسه وبين الصورة الفينومينولوجية التي تربط الحقيقة بالظواهر المدركة فهو أحيانا يلح على أن البنية

جزء من الواقع و آخرى يلح على أننا لا ندركها في مستوى الظواهر المباشرة بل ننشؤها ، و أن البنية لا محتوى لها بل هي ذاتها محتوى يدرك تحت تنظيم منطقي(22) .

نعم ، إن تعريف "ليفي ستروس " يوقعنا في مفارقات ليس من السهل فكها ، فأولا البنية هي بنية الشيء الواقعي من أجل أدراك العقلاني الذي هو ميزة هذه البنية ، وثانيا البنية ليست شكلا ولا محتوى بل هي المحتوى ذاته وكيف تكون كذلك ؟ إنها تعبير عن تنظيم منطقي ، لذا نعتقد أن الوصف الذي قدمه "دلوز" لهذه المفارقات صحيح من حيث أن البنية حقيقة دون أن تكون واقعية مثالية دون أن تكون مجردة.

لكن هذه المفارقات يرى فيها البعض محاولة لتجاوز النزعتين التجريبية والعقلية و التي قسمت الفلسفة الى محورين الذاتي والموضوعي ، أما "بول ريكور" فيرى في مفهوم "ليفي ستروس" ، للبنية عودة إلى الكانطية هذه العودة هي التي سماها " غارودي " بالبعد الأنطلوجي للبنية .

يشكل هذا المفهوم الذي بيناه السمة الغالبة على الدراسات البنيوية الإجتماعية خاصة عند تلامذة "ليفي ستروس " أمثال "موريس غودولييه " و "لوسيان صيباغ" .

ولكن هنالك مفهوم يخالف قليلا المفهوم السابق ونعني به المفهوم التكويني للبنية كما هو عند "بياجيهه " الذي يقول :(تبدو البنية بتقدير أولي مجموعة تحويلات تحتوي على قوانين كمجموعة تبقي أو تغتني بلعبة التحويلات نفسها دون أن تتعدى حدودها أو أن تستعين بعناصر خارجية) (23) .

فالبنية في هذا التعريف مساوية للمجموعة في الرياضيات فهي تتألف من عناصر تقوم بينها جملة من العلاقات هذه العلاقات تخضع لقوانين التحويلات ، وهي مغلقة على نفسها ولا تستعين بعناصر خارجية ويشترط "بياجيه" أن تتميز البنية بالكلية و التحويلات والضبط الذاتي ، ولكن الجديد في محاولة "بياجيه" هو ربطه للبنية بالتكوين . فالبنية في نظرة لا تعرف ولا تدرك ، إلا ضمن إطار التكون ، فالبنية والتكون مترابطان ، لا يمكن إدراك الشيء إلا في إطار بنيته و تكونه وتحويله وهذه نظرة تكوينية تختلف عن تلك النظرة الشكلية التي قال بها "كلود ليفي ستروس"

ثانيا ـ من البنية الى المنهج البنيوي :تعتبر مسألة البحث في المناهج من المسائل الأساسية في البحث العلمي ، ذلك أن نتائج العلوم الطبيعية منها و الإنسانية مرتبطة عضويا بالمنهجية المتبعة ، وبهذا المعنى يتفق العديد من الباحثين في علم المناهج Methoolologie أن ظهور البنيوية و المنهج البنيوي في منتصف القرن العشرين

يعتبر من الملامح الأساسية لتطور مناهج العلوم الإنسانية ، ذلك أن المنهج البنيوي سعى ومنذ البداية ألى رفع مستوى العلوم الإنسانية إلى مستوى العلوم الطبيعية ، لذلك نادى بالصرامة العلمية والموضوعية وضرورة دراسة البني و الإنساق الإجتماعية والثقافية .

فالمنهج إذا يتكون من جملة القواعد و العمليات المرتبطة منطقيا والتي تكون أسلوبا للعمل في إطار نظام من المبادئ، هذا النظام يحدد أنظمة من العمليات التي تنطلق من شروط معينة لتصل إلى هدف معين .و الهدف كما يقول الدكتور عبد المطلب الحسيني (24) هو معرفة الحقيقة الموضوعية أو تغيير الحقيقة الموضوعية ، فهو هادف إما إلى إنتاج معرفة أو تغيير حقيقة معرفة من المعارف و الوصول إلى تحقيق هدف ما لا يتم من خلال عملية واحدة بل من خلال عمليات أو بالتحديد من خلال نظام من الإجراءات و العمليات ، ويتصل المنهج دائما بميدان أو مجال معرفي معين كالمجال الإجتماعي و المجال الطبيعي أو المجال الفلسفي وهو يختلف عن تقنيات البحث ذلك أن هذه الأخيرة نابعة من الموضوع المدروس مباشرة في حين أن المنهج توجه عام ، فتقنيات البحث (مجموعة من الخطط لعلم من العلوم أو لفن من الفنون) (25) فهي ترتبط بالأمور التطبيقية في حين أن المنهج إضافة إلى كونه يتصل بالجانب العلمي فهو نظري ، وباعتباره نظام من القواعد له علاقة بالقاعدة تحدد عملية واحدة ، بينما المنهج هو مجموعة من القواعد أو نظام من القواعد كما يستند كل منهج على نظرية معينة (في أساس كل مناهج المعرفة تكمن القوانين الموضوعية للواقع وهذا هو السبب في أن المنهج يرتبط إرتباطا لا ينفصم بالنظرية) (26) .

إن النظرية تعبير عن الحقيقة و المنهج هو الموجة للممارسة الإنسانية الهادفة فلخلق منهج ما هنالك شرط أساسي هو وجود نظرية معينة ولبناء نظرية ما لا بد من منهج مناسب لتلك النظرية ،وعليه فالمنهج و النظرية يشكلان وحدة ، و العملية المعرفية تتم من خلال التأثير القائم بين النظرية و المنهج و الحقيقة الموضوعية وتطور المنهج والنظرية يتم من خلال تفاعلهما والحقيقة الموضوعية.

خامسا: في مفهوم المنهج البنيوي :بعد أن تعرفنا على الإطار العام للمنهج وخصائصه الأساسية وعلاقته ببعض المجالات المعرفية نتساءل الآن عن مفهوم المنهج البنيوي وعن علاقة مفهوم البنية بالمنهج البنيوي كذلك ؟ تتميز البنية كما أوضحنا ذلك بالكلية ودراسة العلاقات وهذه صفات يتصف بها المنهج البنيوي

كذلك وفي هذا يقول "سماح رافع محمد " (البنية هي مجموع العلاقات الداخلية النابعة التي تميز مجموعة ما بحيث تكون هنالك أسبقية منطقية للكل على الأجزاء ، أي أن أي عنصر من البنية لا يتحدد معناه إلا بالواقع الذي يحتله داخل المجموعة وأن الكل يبقى ثابتا بالرغم مما يلحق بعناصره من تغيرات) (27) ، أن البنية بهذا المعنى هي منهج يتميز بدراسة العلاقات دراسة تزامنية و كلية وهومايدل على أن البنية تمتلك الخصائص المعرفية التي تسمح لها بأن تصبح منهجا ، وهو ما حدث فعلا ضمن الإتجاه البنيوي ، حيث أصبح المنهج البنيوي كغيره من المناهج يتمتع بخطوات و مبادئ وقواعد نحاول أن نفصل القول فيها فيما يلي .

أ - **في خطوات المنهج البنيوي** : يقوم المنهج البنيوي كغيره من المناهج العلمية على جملة من الخطوات و القواعد والمبادئ التي تكون نظامه المفاهيمي حيث يعتمد عليها في تحليل الموضوعات والقضايا وسوف نتخذ من نصوص " ليفي ستروس " مادة لإستخراج هذه الخطوات والمبادئ و القواعد، سواء من حيث التنظير والتطبيق .وأول الخطوات التي يقوم بها المنهج البنيوي لدراسة موضوعاته هي:

1- **الملاحظة** : يميز المنهج البنيوي بين خطوتين أساسيتين هي الملاحظة والتجربة. فالملاحظة تكون بملاحظة جميع الوقائع ووصفها دون الحكم عليها ، ويشترط في ذلك الحيادية و الموضوعية وملاحظة الوقائع في إطار علاقتها ببعضها البعض ، وهذه الخطوة ،خطوة الملاحظة توازيها في الأنتريولوجيا مرحلة الإتنوغرافيا ، أي مرحلة الدراسة الميدانية ، حيث يقوم الباحث بملاحظة المجتمعات التي يدرسها ثم يصفها . وفي هذا المعنى يقول "ليفي ستروس" (أن جميع الوقائع يجب ملاحظتها ووصفها ملاحظة ووصفا دقيقين، بحيث نفوت الفرصة على الأحكام المسبقة، حتى لانمس من طبيعتها و أهميتها) (28).

2-**التجربة** : التجربة في المنهج البنيوي تقوم على شكلين:

تجربة على الوقائع .

- تجربة على النماذج .

يقول "ليفي ستروس" (مما لا شك فيه هو أن التجربة هي دائما صاحبة الكلمة الأولى و الأخيرة ، غير أن التجربة التي يوحي بها الإستدلال و الخاضعة لهديه ، ليست هي نفس التجربة الخام المعطاة لنا في البداية) (29) . فهنالك إذا مستويين للتجربة ، مستوى " التجربة الخام " و التي تعقب مباشرة مرحلة الوصف والملاحظة و هي مرحلة التأكد من المعلومات التي تم جمعها عن طريق الملاحظة

و مستوى ثاني هو التجربة الخاضعة للإستدلال و التي تعني أساسا ، مرحلة بناء النماذج و التجريب عليها ، وهذا المستوى من التجريب يقصد به (مجمل الطرق التي تسمح بكيفية رد فعل نموذج معين على التغيرات ، أو بمقارنة نماذج من طراز واحد أو من أنماط مختلفة بعضها عن البعض الآخر) (30) .وهذا يعني أن التجريب على النماذج يستلزم شرطين أساسيين أولهما معرفة كيفية رد فعل النموذج إتجاه الوقائع ، وإذا ماعلمنا أن النموذج هو أساسا إطار نظري لتعريف الوقائع عرفنا أن كيفية رد الفعل تتجسد أساسا في قدرته على أن يكون جامعا مانعا للوقائع، وذلك طبقا للخصائص التي يجب أن يتمتع بها النموذج و التي سنشرحها في الخطوة التالية المتعلقة ببناء النماذج . أما الشرط الثاني فهو المقارنة بين النماذج التي قد صيغت إنطلاقا من الوقائع المراد دراستها ، معتمدين في ذلك على الوضوح و البساطة و الواقعية . كل هذا يؤكد أهمية التجريب في المنهج البنيوي و الفهم الجديد للتجربة باعتبارها تجربة قائمة على النماذج وذلك في إطار العلاقة القائمة بين البنية والنموذج . إن إعتماد المنهج البنيوي على الملاحظة و التجريب جعل من الباحثة " ليينسكي " تقول (إن المنهج البنيوي يعيد إنتاج المنهج التجريبي و إصالته – إصالة المنهج البنيوي –تكمن في نقله للمنهج التجريبي من مجال العلوم الطبيعية إلى مجال العلوم الإنسانية)(31).

بهاتين الخطوتين يعيد المنهج البنيوي تقليدا وضعيا معروفا في فلسفة العلوم يقوم على التمييز بين مرحلة الملاحظة ومرحلة التجريب ، هذا التوجه الذي أنقدته الإبسمولوجية المعاصرة خاصة عند "باشلار" وذلك في رفضه لتبسيط العملية المعرفية إلى مجرد ملاحظة وتجربة تقابلها مرحلة الوصف و التركيب في الإنتريولوجيا البنيوية .

3-بناء النماذج : سيستعمل "ليفي ستروس " كلمات مترادفة لكلمة النموذج تؤدي نفس المعنى من مثل مخطط chema ورسم تخطيطي وصورة أو شكل forme والنموذج كما قلنا يتماثل و التعريف المنطقي من حيث وجوب توفر الدقة و الشمولية لذا يشترط النموذج عدم إستخدام الوثائق والوقائع غير مدروسة، وضرورة تحليل جميع الوقائع التي تمت ملاحظتها ، والوقائع في المجال الإجتماعي هي العلاقات الإجتماعية التي تشكل (المادة الأولية التي نستخدمها لتركيب نماذج تبرز البنية الإجتماعية) (30) فالنماذج إذا توسط بين الوقائع الإجتماعية و هي هنا العلاقات الإجتماعية كعلاقات القرابة أو العلاقات الإقتصادية و الثقافية و البنية

الإجتماعية التي تتحكم في مجمل هذه الوقائع الإجتماعية ، هذه النماذج يجب أن تتوفر على جملة من الشروط منها :

1 - لا بد أن تؤلف نسقا أو نظاما من العناصر يكون من شأن أي تغير يلحق بأحد عناصرها أن يؤدي إلى حدوث تغير في العناصر الأخرى ، و هذا يعني أن طبيعة النموذج طبيعة نسقية تحتوي على عدة وحدات أو عناصر أو وقائع كل تغير يحدث يؤثر علىباقي الوقائع .

2 -كل نموذج ينتمي إلى مجموعة من التحويلات وهذا طبقا لقانون المجموعة أو البنية كما وضحه " بياجيه" بحيث أن إدراك العلاقة لا يتم إلا بنوع من التحويلات حتى يتم إدراك موقعها أو موضعها .

3 - إن الخاصيتين السالفتي الذكر للنموذج تلتقي مع خاصية اخرى تشمل كذلك البنية نعني بها خاصية البنية إذ (لا تفترن الأبحاث البنيوية بأية فائدة يتسنى ترجمة البنيات إلى نماذج تتشابه خصائصها الشكلية بصرف النظر عن الخصائص التي تؤلفها) (31)

إن هذه الشكلية تعود في الواقع إلى مسألة فهم الموضوعية في المنهج البنيوي (فلحل مسألة الموضوعية التي فرضتها الحاجة إلى لغة مشتركة تستعمل في ترجمة التجارب الإجتماعية المتنافرة نبدأ بالإستدارة نحو الرياضيات و المنطق الرمزي) (32) فالشكلية تعود إذن إلى إعتماد اللغة الرياضية و المنطق الرمزي . هذه اللغة التي إستعملها "ليفي ستروس " في دراسته الإنتربولوجية لمختلف أنساق القرابة والأساطير حيث نجده إستعمل نظرية المجموعات و الجبر . إن الطابع الشكلي الذي يعكسه النموذج البنيوي كان محل نقد واسع للنموذج البنيوي وخاصة كما إستعمله "ليفي ستروس " . في هذا السياق يرى "ريمون بودون " أن نموذج "ليفي ستروس " وضعي واختباري ، وضعي من حيث تأكيده على الشكلية واختباري من حيث تأكيده على الوقائع ، وهو في كل هذا يعكس إستعمالا ملتبسا ، كما يؤكد ذلك "التوسير" .على أن هنالك مستويات للنماذج ، فهنالك المستوى التقني ، حيث يكون وسيلة لدراسة الواقع وهنا تكون له قيمة وقتية و مرحلية ، ومستوى إيديولوجي حين يصبح الإعتقاد بأن العلم بكامله نمذجة ، وهذا المستوى في نظر "التوسير" ينطبق كثيرا على نموذج "ليفي ستروس " (33) .

إن الغرض الأساسي لهذه الخطوات المنهجية التي أتينا على ذكرها من ملاحظة وتجربة وبناء النماذج هو الوصول إلى إكتشاف البنية ، لأن البنية :

1 – تتمثل دائما في نموذج له خاصية منتظمة.
2 – خصائص النموذج هي نفسها خصائص البنية من نسقية ودراسة العلاقات .
3 – النموذج هو الوسيط بين الوقائع وبنيتها ومن هنا ذلك المخطط النظري لخطوات المنهج البنيوي الذي عرضه "ليفي ستروس " في كتابه " الإنتريولوجيا البنيوية ".

وإذا كان النموذج وسيط بين الوقائع والبنية ، فإن البنية ذاتها لا توجد إلا ضمن نسق عام ، فبنية الأبوة أو الأمومة لا توجد إلا ضمن نسق قرابة معين ، أو أن بنية علاقات الإنتاج ووسائل الإنتاج لا توجد إلا ضمن نسق إقتصادي معين ، وهكذا نجد أن المنهج البنيوي الذي يتبع خطوات تبدو أنها متماثلة مع المنهج التجريبي إلا أنها تتجاوزه إلى الكشف ليس فقط عن بنية الظواهر أو الموضوعات بل النسق العام لهذه الموضوعات أو الظواهر .

ب –في مبادئ المنهج البنيوي : يقوم المنهج البنيوي على جملة من المبادئ المنهجية اهمها :

1– أسبقية الكل على الأجزاء: تعود أهم الخصائص الأساسية لمبادئ المنهج البنيوي إلى البنية و هذا ما سنلاحظه في سياق تحليلنا، ومما لاشك فيه أنه سبق وأن أشرنا في مناقشتها لمفهوم البنية ، إلى كونها تشترط الكلية ، وهو ما يؤكده تطورها من علم النفس « الجشطلتي » إلى نظرية المجموعات في الرياضيات ، هذه الخاصية أفرزت مبدءا منهجيا هو أسبقية الكل على أجزاءه ، و يعتمد "ليفي ستروس" في كامل تحليلاته على هذا المبدأ ، وذلك منذ كتابه عن البني الأساسية للقرابة حيث لا يرى في « إنساق القرابة إلا كليات تخضع لمبدأ أسبقية الكل على الأجزاء " (34) إلى أعماله اللاحقة عن الأساطير .

2– أسبقية العلاقة على الأجزاء: مفهوم البنية مرتبط أساسا بمفهوم العلاقة بين العناصر ، وما يهم المنهج البنيوي ليس دراسة الأحداث في مجال المجتمع و لا الكلمات في مجال اللغة بشكل منفرد ومعزول ولكن ما يهمه هو العلاقة التي تقوم بين هذه الأحداث أو الكلمات وخطا السوسيولوجية التقليدية و كذلك الألسنية في نظره هو أنهما نظرا إلى الألفاظ أو الأحداث او الظواهرولم يفكرا العلاقات بين الألفاظ أو الأحداث او الظواهر(35) . من هنا فالعلاقة مبدأ منهجي في دراسة الظواهر ، وهذا ما يؤكده "ليفي ستروس " في قوله (إن ما هو ولي حقا ليست تلك الاسر ، هذه الحدود المنفردة ، بل العلاقات بين هذه الحدود وإن أي تفسير آخر لا

يستطيع تحليل كلية " تحريم زنا المحارم" التي لا تشكل العلاقة "الخالية" من جانبها الاعم سوى نتيجة طبيعية لها واضحة حينا ومختلفة أحيانا" (36) .

لقد أسدى مبدأ العلاقة خدمة علمية كبيرة لفهم مشكلة القرابة في المجتمعات البدائية وخاصة وضعية "الخال" والذي منه نفهم أصل المجتمعات الأموسية و الأبوسية ، بحيث شكل مفتاحا لفهم المجتمعات البدائية . و "ليفي ستروس" باعتماده على العلاقة، إستطاع أن يتجاوز هذه العقبة ، عقبة الخال وذلك بطرحه لمسألة الخال على أساس إدراك العلاقة بين حدود أربعة هي : الأب / الإبن / الزوج / الزوجة / الأخ / الأخت / الخال / إبن الأخت ، إن العلاقة القائمة بين هذه الحدود هي علاقة قانون تحريم زنا المحارم ، واستطاع أن يكشف عن البنية الأساسية للقرابة .

3- مبدأ المحايثة : إن مبدأ المحايثة في اللسانيات يقتضي دراسة النسق اللغوي في ذاته دون الرجوع إلى تاريخه أو علاقته بمحيطه . هذا المبدأ يستعيده "ليفي ستروس" في دراسته الإنتريولوجية ،والتي يؤكد فيها على أن كل موضوع قابل للتحليل ، يجب أن يأخذ باعتباره (نسقا مغلقا وغير قابل لأي تأويل خارجي)(37). كما يؤكد على هذه الفكرة في دراساته للأساطير باعتبارها أنساق مغلقة .

4- مبدأ السياقية : إن هذا المبدأ ملازم لمبدأ المحايثة ، ذلك أن التوقف عند الأثر لا يمنع من دراسته في إطار سياقة العام ، ففي نص أدبي مثلا تقتضي الدراسة السياقية للجمل أن تكون دراسة في إطار السياق الكلي للنص . ووفقا للمبدأ القائل بأسبقية الكل على الأجزاء ، تكون الأجزاء و العناصر (لا تحمل أي معنى أو دلالة إلا في إطار السياق العام) (38) .

5- مبدأ المعقولية: إن المبادئ السالفة الذكر ، كلها تؤدي إلى هدف أساسي هو إكتشاف البنية ، فمن طبيعة البنية أنها لا شعورية أي ذات طبيعة عقلية ، لذلك يرى "ليفي ستروس " أن الخطوة الحاسمة في المنهج البنيوي هي (أنه من أجل تعيين الواقع يجب حذف المعاش) (39) فما ينبغي التخلي عنه هو المعاش و العياني الذي ندركه مباشرة و على المستوى الظاهري ، أما ما يجب الإحتفاظ به فهو الواقع ، لأن في الواقع تكمن البنية .

6- مبدأ أسبقية التزامن على التعاقب: مما لا شك فيه أن هذا المبدأ هو الذي ميز البنيوية عامة و المنهج البنيوي خاصة ، فماذا يعني مبدأ التزامن و التعاقب ؟ إن مبدأ التزامن هو (زمن حركة العناصر فيما بينها في البنية ، تتحرك العناصر في زمن واحد هو زمن نظامها ، فإذا كان إستمرار النظام يفترض إستمرار البنية

وثبات نسقها فإن التزامن يرتبط بهذا الثبات الذي يشكل حالة أن يرتبط بما هو متكون و ليس بما هو في مرحلة التكون ، بما هو مكتمل وليس بما يكتمل ، بما هو بنية وليس بما سيصير بنية)(40) . فالتزامن إذا هو نفي الزمان و القول بالثبات والسكون ، لذا فإن زمن البنية هو زمن عناصرها في إطار نسقها و الذي هو نسق مغلق . ولا يمكن فهم التزامن إلا في نوعية علاقته بالتعاقب ، التعاقب الذي يعني الدراسة التاريخية للأحداث .

وإذا كان التزامن يهتم بالثبات فإن التعاقب يتميز بالتغيير ، لذلك فهما متعارضان ، و يقوم المنهج البنيوي على أسبقية التزامن على التعاقب يقول "ليفي ستروس" في هذا السياق (إن التعاقبي و التزامني يتعارضان ، وذلك لأن الأول يهتم بأصل الإنساق في حين أن الثاني يهتم بالمنطق الداخلي للشيء.)(41)

ووعيا منه بهذا التعارض ، إقترح إقامة تاريخ بنيوي يكون الخطوة التي ينتفي فيها التعارض بين التزامن و التعاقب ،ومن غير شك فإن هذا المبدأ قد تعرض إلى كثير من النقد والتعديل ، فهذا "جاكبسون" مثلا وهو أحد مؤسسي المنهج البنيوي يقول (تتجلي النزعة التزامنية الخالصة الآن أشبه بوهم ، فكل نظام تزامني يتضمن ماضيه و مستقبله الذين هما عنصراه البنيويان الملازمان .) (42) .

كما نجد نفس الإعتراض عند الأستاذ " عبد السلام المسدى" الذي يرى في التزامن نوع من المنطق الصوري يقول (الآنية تعكس المنطق الصوري للأحداث لأن التزامنية تبدو مركبة من سلسلة نقاط الآنية ، أي أن الزمانية تحتوي الآنية و إذا بالآنية تستحيل منهجا مستوعبا لأبعاد الزمانية بمقتضى أنه يدرك الحواجز التطورية فيظهر التعاقب في بوتقه التوحيد) (43) و هذا يعني أن التزامن يقوم بعكس منطق الأشياء على الصعيد المعرفي ، فبدلا من أن يخضع الآني للتاريخي يقوم الآني بإخضاع التاريخي ، وهذا من أجل تحقيق شروط المعقولية المنطقية والتي هي معقولية صورية لا تهتم إلا بالأشكال و الثوابت و تنفي المعاني والحركة والتغيير .

جـ- في قواعد المنهج البنيوي: قبل أن نحلل قواعد المنهج البنيوي نرى من الضروري التصدي للإجابة عن العلاقة التي تجمع بين تلك الخطوات التي يقوم عليها المنهج البنيوي و الميادين التي يستند عليها . فمن الواضح أن خطوات المنهج البنيوي تقوم أساسا على نوع من إستعادة المنهج التجريبي ، في الوقت الذي يقوم فيه على مبادئ ذات طبيعة عقلية . ألا يعني هذا تناقضا ؟ في الواقع أن البنيويين وخاصة "ليفي ستروس" أشاروا إلى الطبيعة الإزدواجية للمنهج البنيوي وعبروا عن

ذلك بكون المنهج البنيوي منهج التحليل والتركيب أو منهج الفهم أو الشرح أو منهج التدرج و الإرتداد ، وهذه الصفة المزدوجة للمنهج البنيوي جعلت من الباحثة "ليبنسكي" تطلق عليه إسم المنهج الجدلي المفتوح ، وذلك لكونه يقوم على جدل الوقائع الملاحظة و المبادئ العقلية ، أو على جدل التدرج و الإرتداد أو جدل التحليل و التركيب .وخلص "بودون" الى إن المنهج البنيوي ما هو إلا منهج يقوم بتحليل الشيء ثم تركيبه ، و ذلك من أجل الحصول على المعقولية الباطنية الكامنة في الشيء .

بعد هذا التوضيح نناقش القواعد الأساسية للمنهج البنيوي و هي :

1- قاعدة الشمول والكلية: وهي قاعدة نابعة من خصائص البنية و مبادئ المنهج البنيوي وهي كما يقول "كورفيز" :(المهم هو إتخاذ موقف شمولي ، أي أن المنهج البنيوي في صميمه يعتبر تحليليا وشموليا في نفس الوقت .) (44)

2- قاعدة البساطة والواقعية: التحليل العلمي في نظر "ليفي ستروس" يجب أن يعتمد على قاعدة البساطة و الواقعية (46) والبساطة في المنظور البنيوي تعني إرجاع المركب إلى حالته الأولى ، حالة البساطة وذلك بتحليله إلى عناصره وأجزاءه الأولية ، أما الواقعية فهي شرط لتحقيق العلمية ، لذا وجب الإنطلاق من الملاحظة الموضوعية من أجل الفهم الحقيقي للواقع (47).

3- قاعدة الإستبدال والتحويل: إن البنيوية يمكن تحديدها باعتبارها محاولة في البحث عن المتشابه داخل المختلف ، ففي ميدان الأساطير مثلا ، يقتضي البحث أن نبرهن على أن الأساطير التي لا تتشابه أو التي يكون فيها التشابه عرضي ، بمعنى الأساطير التي تظهر إختلافا وتنوعا ، يمكن إرجاعها إلى بنية واحدة وثابتة وذلك بعد إجراء سلسلة من الإستبدالات و التحويلات لعناصر تلك الأساطير وهذا ما قام به "ليفي ستروس " في عمله الضخم حول الأسطوريات بحيث استطاع أن يدرس أكثر من" 800 " أسطورة ويرجعها إلى بنياتها الأساسية وخاصة بنيتها اللغوية ، وهذا بعد سلسلة من تحويلات واستبدالات لعناصر تلك الأساطير.(48)

وقاعدة الإستبدال و التحويل ترتبط كذلك بميزة أساسية للبنيوية هي إهتمامها بالوضع والمكان بدل الإهتمام بالعناصر و الأجزاء . فدلالة عنصر ما تؤخذ من موقعه لذلك يمكن تبديل أو تحويل أي عنصر ما دام الموقع هو المهم (فالصور والرموز ليس لها معنى وإنما وضعيتها هي التي تحدد معناها وليس العكس (49) .

4- قاعدة المقارنة: (المقارنة البنيوية لا تقوم على أكثر من ذلك ، البحث عن

الثابت أو العناصر الثابتة ضمن سلسلة فوارق مصطنعة.) (50) فغاية المقارنة في إطار المنهج البنيوي هو البحث عن الثابت، ما دامت قاعدة التحويل و التبديل تتكفل بالتغيرات التي تطرأ على العناصر، لذا وجب القول بقاعدة المقارنة كي تكشف عن الثابت ضمن فوارق مصطنعة .

سادسا – المنهج البنيوي والعلوم الانسانية : يرى "ليفي ستروس " أن القول بالأنتربولوجيا البنيوية هو قول تكراري أو من قبيل تحصيل الحاصل و السبب واضح و هو أنه لا يمكن للأنتربولووجيا إلا ان تكون بنيوية .(خصوصا إذا أرادت لنفسها ان لا تبقى أسيرة للمعرفة التجريبية ، و إذا حرصت في الوقت نفسه على الإستعانة عن نمط ((التفسير السببي)) القائم على مفهوم التعاقب بنمط التفسير البنيوي القائم على مفهوم النسق و التزامم .)) (51)

فالمقصود إذا بالأنتربولوجيا البنيوية هي تلك الأنتربولوجيا التي لا تهتم بالمعاش والعيني و التجريبي كما تفعل الأنتربولوجيا الوظيفية و الوضعية و التطورية ، بل تلك الأنتربولوجيا التي تبحث في البنى الكامنة وراء الظواهر، البني ذات الطبيعة العقلية وإن تدرسها دراسة تزامنية لا دراسة تعاقبية. إن الأنتربولوجيا البنيوية ماهي إلا أحد العلوم الانسانية التي تساهم في إنشاء علم للعلامة ، و ذلك لأن موضوعها هو دراسة الطبيعة البشرية الرمزية للموضوعات و يوضح ذلك " ليفي ستروس " بقوله (لابد لنا من أن نضع في إعتبارنا سواءا كنا بصدد دراسة إجتماعية او لسانية باننا في أعمق أعماق االرمزية.)(52) .

وإذا كان موضوع الأنتربولوجيا هو دراسة الرموز فماهي علاقتها بالعلوم الإنسانية والإجتماعية؟ ميز " ليفي ستروس " بين العلوم الإجتماعية التي تشمل (القانون، الإقتصاد، السياسة، علم الإجتماع، علم النفس الإجتماعي.) والعلوم الإنسانية التي تضم (ما قبل التاريخ، علم الأثار، التاريخ،الأنتربولوجيا، اللسانيات ، الفلسفة ،المنطق ، علم النفس .) والفارق بينهما في نظره، أن العلوم الإجتماعية علوم تطبيقية تهتم بالملاحظة و التجربة و البحث الميداني أما العلوم الأنسانية فتهتم بالنظريات و تحليل الأعمال الإبداعية ،و مشكل هذه العلوم هو عدم قدرتها على الوصول إلى مستوى العلوم الطبيعية من حيث الدقة والقدرة على الإختيار والصرامة الموضوغية ،و السبب في ذلك يعود إلى أن العلوم الإنسانية تهتم بالإنسان بإعتباره كائن يهتم بذاته. (53)

وحينما يتكلم " ليفي ستروس" عن الذات فإنما يعني الوعي ((ذلك العدو السري

للعلوم الإنسانية سيواء على مستوىالوعي العفوي و المحايد للموضوع أو الوعي التأملي ، أو وعي الوعي عند العالم.))(54) .

ولتخطي هذه العقبة ، يجب بطبيعة الحال، القضاء على هذا العدو السري ، و منه وجب على العلوم الإنسانية أن تغير هدفها ووظيفتها ، فبدلا من الإهتمام بالإنسان وذاته ووعيه يجب العمل على القضاء عليه وعلى ذاته و على وعيه ، و من هنا يصبح هدف العلوم الانسانية ((لا أن تكون الإنسان و لكن أن تذوبه وتفككه وبذلك يتم إدماج الثقافة في الطبعة و الحياة في مجمل الشروط الفزيائية والكميانية))(55) .

تتحدد القيمة العلمية للعلوم الإنسانية ، في المنظور البنيوي في القضاء على الشعور من أجل البحث في (اللاشعور) و التخلي عن الذات من أجل الموضوع ، و بهذا تتحقق العلمية و تتأسس العلوم الإنسانية .

أ - **في مفهوم التاريخ:** حاول "ليفي ستروس " أن يقدم مفهوما جديدا للتاريخ ، عرضه في ثلاث كتب اساسية هي" الانتربولوجيا البنيوية " " الفكر المتوحش " و " العرق و التاريخ " و من خلال هذه الكتب نستطيع أن نميز بين ثلاث مستويات للتاريخ هي :

1 ـ التاريخ العام: إن تحليل هذه المستويات يبين ان "ليفي ستروس" ينكر التاريخ العام ، لانه (لا يزيد عن كونه مجرد إضطراب و تهيج على سطح الأشياء)) (56) و يحدد هذا التاريخ بقوله ☹ ليس التاريخ الذي يزعم الكونية سوى تجميع لبعض التواريخ المحلية ، الثغرات الموجودة ضمنها وفيما بينها أكثر عدد من اجزائها الممتلئة)) (57) هذا يعني ان فكرة التاريخ العام فكرة هشة لانها مملوءة بالثغرات ، وأكثر من هذا فإنها لا تخضع للمنطق و لا للمنهجية العلمية و ليس لها أساس واقعي ، بل هي مجرد تجميع لتواريخ محلية .فماهو اذن التاريخ الذي يتحدث عنه ليفي ستروس ؟

يرى "ليفي ستروس " أن التاريخ يتأرجح بين ،((عدد كبير من المعاني ، هنالك التاريخ الذي يصنعه الناس دون معرفة به و التاريخ الذي يصنعونه عن معرفة به والتأمل الذي يقوم به الفيلسوف و المؤرخ.)) (58) إن هذه المعاني التي يعطيها لمصطلح التاريخ نستطيع تلخيصها في في معنيين اساسين ، التاريخ الواقعي الذي يصنعه الناس عن معرفة به أو عن غير معرفة به و التاريخ الذي يصنعه المؤرخون و الفلاسفة كنظرية .

وفي الوقت الذي يؤكد فيه على التاريخ البشري او التاريخ الواقعي ، يرفض تاريخ

المؤرخين و الفلاسفة ذلك ان هذا النوع من التاريخ لا يعدو أن يكون أسطورة من الاساطير و إن شئنا الدقة فإنه يلعب نفس الدور الذي تلعبه الأساطير في المجتمعات البدائية يقول . (إن ما تفعله الاساطير في المجتمعات التي تجهل الكتابة ، كان تبرز نظاما إجتماعيا و تصورا للعالم برؤية أمينة و تشرح ما تكون عليه الأشياء و تجد التبرير لوصف الحاضر في وضعه الماضي ،و تتصور المستقبل تبعا لهذا الحاضر وذلك الماضي ، فهو كذلك الدور الذي تنسبه حضارتنا للتاريخ ، مع هذا الفارق بالمقابل ، أننا نطلب من التاريخ الإيمان أو الرجاء بأن يكرر الحاضر الماضي و أن يختلف المستقبل عن الحاضر بالطريقة نفسها التي إختلف فيها الحاضر بالذات عن الماضي.)) (59) إذن أن الدور واحد بين ما تقوم به الاساطير و ما يقوم به التاريخ ، مع فارق واحد ، هو ان الأساطير تشيع الثبات ،و التاريخ يؤكد على التحول .ولكن يبقى التاريخ العام مجرد أسطورة إخترعها المؤرخون و الفلاسفة ورجال السياسة ،ان هذا التاريخ العام مجرد أسطورة إخترعها المؤرخون و الفلاسفة ورجال السياسة ،وأن هذا التاريخ العام ، ليس أكثر من إظطراب و تهيج على سطح الأشياء من هنا ينتقل " ليفي سروس " إلى مناقشة المستوى الثاني من تحليله و هو علاقة التاريخ بالانتربولوجيا .

ب ـ التاريخ والانتربولوجيا : إذا كان ليفي ستروس يرفض التاريخ العام و يؤكد على التواريخ المحلية فما مفهومه لهذه التواريخ ؟ في الواقع لا أحد يستطيع أن ينكر الحدث التاريخي أو يتجاهل الأحداث التاريخية ، و لكن ما يراه "ليفي ستروس " هو ان التاريخ لا تكمن وظيفته في فهم الاحداث التاريخية ،فهذه المهمة موكولة للأنتربولوجية يتضح هذا المعنى في المقارنة التي يعقدها بين التاريخ والانتربولوجيا من حيث الموضوع و المنهج و مجال البحث . فالانتربولوجية البنيوية تهتم بالملاحظة و التعابير الشفوية للمجتمعات البدائية " لكن المؤرخ يهتم بالوثائق والمصادر ، و بمعطيات تخضع للتعابير الواعية كما أن الأنتربولوجية تقوم بذلك وفقا للمعطيات اللاشعورية للحياة الإجتماعية)) (60) و هي تفعل ذلك بسبب صعوبة إيجاد تفسير عقلي لعادات و ممارسات الشعوب البدائية اما علماء التاريخ فان : ((نشاطهم يهتم بدراسة المجتمعات التي نحيا فيها ، في حين أن الأنتربولوجية تقوم بدراسة المجتمعات التي لانحيا فيها و الفارق يتمثل في أن الاول التاريخ – يبحث في المجتمعات البشرية ، في الزمن و الثانية ن في المكان .)) (61) .

التاريخ يعيد تشكيل المجتمعات الماضية و المتماثلة مع الحاضر في حين ان

الأنتربولوجية تعيد تركيب المجتمعات القديمة ، بمعنى ان التالريخ يهتم بالزمن و أما الأنتربولوجيا فتهتم بالبنى و الثبات و التزامن من هنا فهي أقرب إلى تحقيق الشروط العلمية من التاريخ.هذا إضافة إلى أن هنالك جانب من التاريخ عادة ما يتم التغافل عليه ، و هو التاريخ النظري ، ذلك التاريخ المتحزب ، التاريخ من أجل تاريخ معين انه التاريخ الإرادي . من كل هذا يستنتج " ليفي ستروس " أن التاريخ ليس له موضوع مستقل بل أن موضوعه تتقاسمه جميع العلوم الانسانية و بدون شك فإن للأنتربولوجية البنيوية المكانة الاساسية ، وهكذا لا يبقى من التاريخ إلا جانبه الشكلي المتمثل في كونه نشاط إرادي ، ، يقول ليفي ستروس " (التاريخ ليس علما ،لانه متحيز بفعل الشروط التي تفرض غليه الإنتقاء و التركيب للحدث التاريخي ، فإرادة المؤرخ هي التي تصنع التاريخ .)(62) .

و حين يزعم التاريخ المعرفة بالزمانية فإنه لا يؤكد إلا على وهم كبير ذلك لان الزمانية ليست أكثر من إرادة المؤرخ في صناعة التاريخ ، فماذا يبقى من التاريخ؟ لايبقى ا لا ذلك النشاط في جمع المعلومات و المصادر . و أهمية هذا النشاط تكمن (في إستعماله كمصدر للمعلومات ، و هو يشغل كبداية للتحليل البنيوي ،ولا يمكن أن يحمل أي طابع للمعقولية .) (63) لهذا النشاط إذا فائدة في جميع المعلومات والمصادر ، و كذلك يعد بداية و منطلق لتحليلات بنيوية ، تسمح بإنشاء تاريخ آخر هو التاريخ الذي يسميه ليفي ستروس بالتاريخ البنيوي فماذا يقصد به ؟

جـ- في مفهوم التاريخ البنيوي: يقصد "ليفي ستروس " بالتاريخ البنيوي ، تفسير المجتمعات و تاريخها بمصطلحات بنيوية، و يشرح هذه الفكرة بقوله :(إن فكرة تاريخ بنيوي لا يمكن أن يخدم المؤرخ ...فهي لا تتناقض و فكرة التاريخ الرمزي للعلامة ...)(64) .

ومن المعلوم أن " ميشيل فوكو " قد قدم محاولة بهذا المعنى في كتابه " الكلمات والأشياء " و هو كتاب يبحث في التاريخ الثقافي الغربي.وهذا التاريخ البنيوي الذي يدعو إليه " ليفي ستروس يعتمد على تلك المبادئ المنهجية التي شرحناها و خاصة مبدأ التزامن ، يقول :(ليس من حقنا أن نسد ما في التفسير البنيوي من فجوات عن طريق اللجوء إلى أدلة مستمدة من المجال التاريخي .) (65)

و من أجل أن يتجاوز مشكلة الإنقطاع التي حصلت بين المجتمعات البدائية والمجتمعات المتقدمة ، تقدم بمفهومي التاريخ الثابت و التاريخ التراكمي . فالتاريخ التراكمي .(يظهر إلى عالم الوجود إبتداء من مجتمعات تفصل بينهما فوارق مختلفة

ولكنها مع ذلك على إتصال ببعضها البعض في حين ان التاريخ الثابت لن يكون الا اشارة الى ضرب من الحياة السفلى " ألا و هي الحياة المنعزلة " .)(66)
وإن ما يبدو تطورا و تقدما ماهو الا لقاء بين مختلف الثقافات ، في حين أن العزلة عطلت من الحركة التراكمية للمجتمعات البدائية فالفارق بين المجتمعات البدائية والمتطورة فارق في الدرجة ،وأن وصف المجتمعات بالتراكمية و الثابتة هو مجرد وصف منهجي .أن هذه الحجج و غيرها ، هي التي إعتمدها كذلك لرفض فلسفة التاريخ التي تقوم بالمركزية الاوربية و التطور الخطي و التقدم الإيجابي ليدعو إلى الإختلاف و حوار الثقافات دون شعور بالدونية أو الفوقية أو الإستعلاء .

هوامش الفصل

1 - philosophies : édition la découverte le monde . paris 1984.p 09.

2 - عن أحمد القصير – منهجية علم الإجتماع بين الوظيفة و الماركسية و البنيوية . الهيئة لمصرية العامة للكتاب . السنة 1985 .ص 46

3- بياجيه جان : البنيوية ترجمة عارف منمنة و يشير أو يرى ، منتشورات عويدات . السنة 1971 الطبعة 01 من ص 08.

4 - FROLOV, I : dictionnaire philosophique editin progrés 1985 .p.493

5- ساخاروقا من فلسفة الوجود إلى البنيوية . ترجمة و تقيم الدكتور . أحمد برقاوي . دار دمشق السنة 1989 ط 01 .ص 166

6- مجلة الكر العربي المعاصر تصدر شهريا عن مركز الإنماء القومي بيروت 1980. عدد 6.7 من إفتتاحية العدد

7- روجي غارودي . ماركسية القرن العشرين ترجمة نزيه الحكيم منشورات دار الأداب . بيروت 1976.ط04.ص 95

8- د فؤاد زكرياء الجذور الفلسفية البنائية كلية الأداب جامة الكويت 1986.ص 06

9- جان كويزنيه .البنيوية ، الفكر تالعربي المعاصر . مرج سبق ذكره . ص 43.

10 – فؤاد عبد القادر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . القاهرة . 1378هـ.ص 136.

11 –Jean marie auzias: clefs pour le strucuralisme edition seghers paris – 1967 p 13.

12 - Jean lacraix: panorama de la philosophie française contemporaine edition .P.U.F paris 1968 p 08
13 - Jean ullmo: la pensée scientifique moderne edition française paris 1969 p 10
14 - Rymond boudon: a quoi sert la notion de « structure » ? gallimard paris 1968 p 43
15 - Gille deleuze : Aquoi reconnait-on le structuralisme ?in , La Philosophieau 20eme siecle,ed, Hachette , 1973,p,298.
16 – زكريا ابراهيم : مشكلة البنية ، ص18 .
17- كلود ليفي ستروس . الانتربولوجيا البنيوية . تلرجمة مصطفى صالح .منشورات وزارة الثقافة و الإرساد القومي . دمشق 1977 .ص 327.
18- صلاح فضل . البنائية في النقد الأدبي . مكتبة الأنجلو المصرية 1980. ط2 ص 182
19- صلاح قنصوة : مناهج بحث المجتمع المحلي . مجلة الفكر العربي تصدر عن معهد الإنماء العربي للعلوم الإنسانية 1985 .العددان 37.38. ص 389.
20- سالم يفوت .فلسفة العلم المعاصرة . دار الطليعة، 1986 .ص 264
21- نفس المرجع ، ص 266.
22 – نفس المرجع ، ص 270 .
23 - جان بياجيهه . البنيوية . مرج سبق ذكره .ص 08
24- د عبد المطلب الحسيني محاضرات حول المنهجية ، قدمت لطلبة الفلسفة بجامعة قسنطينة السنة الدراسية 1982-1983 (محاضرات لم تطبع)
25 - Harroun, jamous : technique, methode et epistemologie in : epistemologie sociologique, cahiers senestriels , 2eme senstre, editions anthropos 1968 p : 21
26- روزانتال ويودين : الموسوعة الفلسفية ترجمة سمير كرم بمراجعة صادق جلال العظيم و جورج طرابيش دار الطليعة بيروت 1981 ط. -3 ص 502
27 – سماح رافع : المذاهب الفلسفية المعاصرة ن مكتبة مدبولي ، 1973 ، ص 15.
28- كلود ليفي ستروس . الأنتربولوجيا البنيوية مرجع سبق ذكره ص 307.
29 - Claude , levi strauss: antropologie structurele deux edition plon 1973. p 100
30 - Lipansky: le structuralisme de levi-strauss edition payot paris 1973 p .223.

29- كلود ليفي ستروس : الأنتربولوجية البنيوية ، مرجع سبق ذكره ص 328 .

30- نفس المرجع ص 333.

31- نفس المرجع ص 422 .

32 - Piere cressant: levi-qstrauss : edition universitaires 1970 p 87 aussi voir : alain badieu: le consept d modéle edition mapéro paris 1970 p .18.

33 - Claude , levi- strauss : antropologie structurele (deux) o.p cite p 349.

34 - Claude , levi- strauss les structues élementaires de la parenté edition mouton 1967 p .117.

35 - Claude , levi- strauss : antropologie structure option p .57.

36- كلود ليفي ستروس : الأنتربولوجية البنيوية مرجع سبق ذكره ص 74.

37 - Claude , levi- strauss critéres scientifiques dans les disciplines sociales et humains : alethia 1966. n° 04 p : 202.

38 - Claude , levi- strauss: antropologie structurele option p 237.

39 - Claude , levi- strauss triste tropique: édition pon .1955 p : 375.

40 - د .يمني العيد :في معرفة النص. دراسات في النقد الأدبي منشورات دار الأفاق الجديدة 1985ط3 .ص 33.

41- Claude , levi- strauss : les structures elementaires de la parenté option p : 564.

42 - جاكسبون : العلاقة بين عل اللغة والعلوم الأخرى في الإتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم الإجتماعية المجلد 2 مرجع سبق ذكره ص 102.

43- عبد لسلام المسدي : اللسانيات و أسسها المعرفية . الدار التونسية للنشر و المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985-ص 130.

44 - Mourice corvez: les structuralistes onbier- montagnes 1969.p.07.

45 - Claude , levi- strauss: antropologie structuele option p .233.

46 - Lipansky : le structuralisme de claude , levi- strauss: option p 1262.

47- Claude , levi- strauss: l'origine des maniaires de tables edition plon .1968 .p. 164.

48- كلود ليفي ستروس : الأسطورة و المعنى سبق ذكره ص 10.

49- إيفي نزير تيشارد . الأناسة المجتمعية و ديانة البدائيين في نظريات الأناسيين : مرجع سبق ذكره ص 81.

50- بول ريكور : مشكلة الذات تحدي السيمولوجيا ترجمة بدر الدين عردوكي في مجلة الفكر العربي الماصر تصدر عن الإنماء القومي 1988 العدد 4-5.

51- كلود ليفي ستروس : الأنتربولوجية البنيوية - مرجع سبق ذكره ص 325.

51- voir : Magazine libiraire n° 311. juin 1993 « claude , levi-strauss »(esthetique et antropologie structuralisme) .

52 - Claude , levi- strauss: antrpologie structure de deux .option p 96 .

53 - Ibid : p: 343 .

54 - Ibid : p : 344 .

55 - Claude , levi- strauss : le pensée sauvage op-cit p 326 .

56 - Claude , levi- strauss: de pensée sauvage. Op-cit p:261.

57 - Ibid : p : 373.

58 - Ibid: p. 323.

59 - Claude , levi- strauss: triste tropique op-cit .p.78.

60 -Claude , levi- strauss: la pensée sauvage . option p.342.

61- Ibid: p .345.

62 - Ibid: méme page.

63 -Lipansky: le structuralisme de claude , levi- strauss option .p.135.

64 –Claude lévi – strauss : Race et historie editions plon.1952.p.125.

65 - Claude , levi- strauss: ibidem.p.106.

66 - Ibidem: 115.

قائمة بمصادر ومراجع البحث

المصادر:

1 - بياجيه جان : البنيوية ترجمة عارف منمنة و يشير أو يرى ، منتشورات عويدات .السنة 1971 الطبعة 01

2 - كلود ليفي ستروس . الانتربولوجيا البنيوية . تلرجمة مصطفى صالح .منشورات وزارة الثقافة و الإرساد القومي . دمشق 1977.

3 - Claude , levi- strauss les structues élementaires de la parenté edition mouton 1967

4 - Claude , levi strauss: Anthropologie structurele deux edition plon 1973

5 - Claude , levi- strauss triste tropique: édition pon .1955

6 - Claude , levi- strauss: l'origine des maniaires de tables edition plon .1968.

7 - Claude , levi- strauss: la pensée sauvage, ed, plon , 1961 .

8 - Claude lévi – strauss : Race et historie editions plon.1952.

المراجع :

1 - أحمد القصير - منهجية علم الإجتماع بين الوظيفة و الماركسية و البنيوية . الهيئة لمصرية العامة للكتاب . السنة 1985 .

2 - ساخاروقا من فلسفة الوجود إلى البنيوية . ترجمة و تقيم الدكتور . أحم برقاوي . دار ديمشق السنة 1989 ط 01 .

3 - روجي غارودي . ماركسية القرن العشرين ترجمة نزيه الحكيم منشورات دار الأداب . بيروت 1976.ط04.

4 - د فؤاد زكرياء الجذور الفلسفية البنائية كلية الأداب جامة الكويت 1986.

5 - د. صلاح فضل . البنائية في النقد الأدبي . مكتبة الأنجلو المصرية 1980. ط2.

6 - د .يمني العيد :في معرفة النص. دراسات في النقد الأدبي منشورات دار الأفاق الجديدة 1985ط3 .

7 - عبد لسلام المسدي : اللسانيات و أسسها المعرفية . الدار التونسية للنشر و المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985.

8 -philosophies : édition la découverte le monde . paris 1984.

9 - Jean marie auzias: clefs pour le strucuralisme edition seghers paris –1967

10 - Jean lacraix: panorama de la philosophie française contemporaine edition .P.U.F paris 1968

11 - Jean ullmo: la pensée scientifique modeme edition française paris 1969

12 - Rymond boudon: a quoi sert la notion de « structure » ? gallimard paris 1968

13 - Lipansky: le structuralisme de levi-strauss edition payot paris 1973

14 - Piere cressant: levi-qstrauss : edition universitaires 1970

15 - Mourice corvez: les structuralistes onbier- montagnes 1969

المجلات والقواميس :

1 - مجلة الكر العربي المعاصر تصدر شهريا عن مركز الإنماء القومي بيروت 1980. عدد 6.7.

2 - مجلة الفكر العربي تصدر عن معهد الإنماء العربي للعلوم الإنسانية 1985 .العددان 37.38.

3 - Epistemologie sociologique, cahiers senestriels , 2eme senstre, editions anthropos 1968

4 - Magazine libiraire n° 311. juin 1993

5 - فؤاد عبد القادر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . القاهرة . 1378

6 - روزانتال ويودين : الموسوعة الفلسفية ترجمة سمير كرم بمراجعة صادق جلال العظيم وجورج طرابيش دار الطليعة بيروت 1981 ط3.

7 - FROLOV, I : dictionnaire philosophique editin progrés 1985.